1998-02-14-0001-٢

١٩٩٨/٢/١٤

الحب في الأسر...

رسالة حب ليتها تصل

● من وداد حلواني
الى زوجها عدنان الذي خطف بعيد الاجتياح الاسرائيلي في اوائل عهد امين الجميل.

مرحبا «عدناني»

كان بإمكاني تأجيل رسالتي هذه عشرة ايام فقط، فتتطابق مع يوم ٢٤ شباط، مناسبة زواجنا القابع في زوايا ذاكرتنا والقلب والروح...

لا أدري لماذا قررت أن أكتب إليك يوم «سان فالنتان»... او عيد العشاق... ربما أنا في حالة عشق دائم.../ ما أعرفه عن القديس المذكور، انه أُعدم، بقطع رأسه، في ١٤ شباط من عام لا أحفظ تاريخه.

وما لا أعرفه «عدنان» هو لماذا ألبس هذا اليوم حلّة العيد...! وكأن قطع الرأس أمر مفرح يستدعي إقامة مثل هذا الفولكلور المجاني...

في هذا اليوم... يتداعى الناس للاحتفال بالحب... تطير عواطفهم من القلوب، فتتقافز امامك على أرصفة الشوارع والساحات والزواريب وواجهات المحلات... بل تقتحم الملاهي والمطاعم والتلفزيونات والبرامج المحلية والمستوردة، وتصريحات السياسيين و... حتى يسودك شعور بضرورة التقاط أنفاسك تجاه هذا الفيضان من العواطف والمشاعر في محاولة لإعادة الامور الى نصابها، والأرض الى الدوران على محورها.

تحاصرك يا عدنان، الورود الحمراء اينما حللت، وكيفما توجهت... لكنها للاسف، لا تجتذبك، كونها تعاني هذه الايام فقدان الرائحة الذكية... مثلها مثل المعلّبات الجاهزة، والحب الفالنتيني، والسياسة، وكل شيء في بلدنا...

عذراً عدنان... لم أشأ اذيتك فوق الاذى الذي ما زال يطالك منذ خمسة عشر عاماً ونيف... أعرف كم تحتاج في منفاك المجهول الى كلام يخفف عنك وحشة الغربة، وصقيع الفراق، ومرارة الحب والاشتياق... أعرف كم تحتاج الى ما يعيد تذكيرك بطعم فرح منسي، ورائحة أنس مفقودة، ودفء في القلب والكيان... لكنك تعرف رفضي القاطع لجميع الامور والقضايا المناسباتية، فكيف إذا طالت منا الإنسان والمشاعر...!! فهل للحب قانون وتاريخ وموجبات؟.

أخبرهم يا عدنان اننا في الحب من الخارجين على القانون... فليسطروا مذكرة توقيف بحقنا!...

أخبرهم اننا في الحب ضد التاريخ... أننا مع الفوضى في التواريخ... ولنقل خارج التاريخ، فليقولبونا إن استطاعوا.

مرحبا موجبات... أخبرهم أنها لا تقربنا لا من قريب او من بعيد... ولو أن شهر التسوق الشباطي بدوره، يكاد يحطم أبوابنا، ويدخل بيوتنا ليوفر علينا مشكوراً، الوقت والجهد لإنجاز المشتريات والاهداءات.

أيها الحبيب المغيب الحاضر...

كيف أعايدك؟ وماذا أهديك؟

لأنني أشعر بأن قبلات الناس وهداياهم مجتمعة في هذا اليوم، لا تستطيع ايصال ولو قليل من الحب والشوق اللذين يلفانني قلباً وجسداً وفكراً، سأكتفي بإرسال قبلة واحدة إليك... لكنها تتمتع بقدرة هائلة على التكاثر إذا ما نجحت في العبور خلسة عن عيني السجان، ودلفت خلف القضبان... عدنان... انتبه! لقد حملت قبلتي هذه بعضاً من ريق زياد وغسان اللذين يكبران... واللذين أحباك أباً كامل الحضور معهما كما عرفت، وأباً منتظراً دائماً كما أريدك ويريدانك ان تعرف... فاغرف منها ما تشاء... أرجوك عدنان، لا تذرف الدمع، لا تزد الوجع... أفلا تطمئنك ملامح الرجولة الواعدة التي بدأت ترتسم على وجهيهما، وتمتد لتطال منهما العقل والجسد...؟ وهل أحلى من هذه الهدية؟.

عدنان... بالصوت العالي جداً كي يصلك اينما كنت، وكيفما كنت، «كيفك إنتَ»؟ عذراً من السيدة فيروز وزيادها...

عدنان... هل ما تزال داخل البلاد؟ هل ما تزال تنبض بالحياة؟ عدنان، هل تسمعني؟ انني احبك دون حاجة الى شفيع للحب في آخر الزمن...

انني مثلك، بحاجة الى من يساعدني في قتل فراغ الزمن الحاضر...

بحاجة الى من يعيننا معاً على انتشال حلمنا المعلّق من براثن الجلاد...

الى من يساعدنا في نزع الأقنعة المزيفة عن الوجوه...

نحن بحاجة الى الهواء، الى التنفس، والى مساحة حقيقية غير محشوة بالباطون والحديد...

عدنان... انني بحاجة للحرية، للمدى، للحقيقة، لأصل إليك، ويصل جميع الناس الى احبائهم الموزعين في متاهات المجهول...

إنني بحاجة إليك، وليس الى صورتك... وقد شاءت الظروف ان علقتها يوماً على صدري في احدى جلسات مؤتمر اقامته منظمة العفو الدولية في اسطمبول دفاعاً عن حقوق الانسان في العام ١٩٩٥. لا اخفيك... اصبت بحالة من الارتجاف والانفعال الشديدين... وشعرتُ كما فاتتني مشاعر النسوة اللواتي لم تفارق صدورهن يوماً صور احبائهن المخطوفين...

على أمل، أن يأتي يوماً، شفيعٌ للإنسان والإنسانية، للعدل، للحرية، ليحرر المخطوفين من سجنهم، ليخرج ملامحهم من الاطار الذي يقيدهم، ليطلع بهم من جمود الصورة الى قلب الحياة، ودفء احضان الاحبة الذين ينتظرونهم.

أواه عدنان... أسمع صوتك يناديني من بعيد بعيد... أنصت، وأتطلع في محاولة لتقريب المسافة، وتحضرني في هذه اللحظات... أخالني في حالة عناق طويل معك أتمنى ان لا تنتهي... يدُك تعبث بشعري، والاخرى تحمل لي زهرة برية غريبة الشكل والألوان والعطر... زهرة تشبه شكل الحرية، ولونها، وعطرها... ولم تنس ان تهمس في اذني: «هي زهرة الحياة، داريها برموش العين»...

شكراً حبيبي لمجيئك والعناق... شكراً للهدية، سأحاول إنباتها لأوزع منها على جميع اهالي المخطوفين، وغداً، سنمزق قانون إثبات وفاتكم الذي أهدانا اياه المسؤولون، وسنلاقيكم في حفلة حب حقيقية، دون حاجة الى وسيط او شفيع... والله اعلم من سيكون يومها شفيع المزيفين الذين فرضوا انفسهم قيمين على البلاد والعباد...

تغمدك الله «سان فالنتان» برحمته، وأسكنك فسيح جناته...

ويا عشاق بلدي لا تتوقفوا عن الحب لحظة حتى لا نخسر البلد... ونخسر القضية...

وحتى نلتقي يا عدنان... أعاهدك باسم الحب الذي يجمعنا، ان أبقى أكافح حتى يحل العيد الحقيقي، العيد الذي يدخل الى جميع البيوت والى كل الصدور التي غادرها من زمان.

حبيبتك وداد

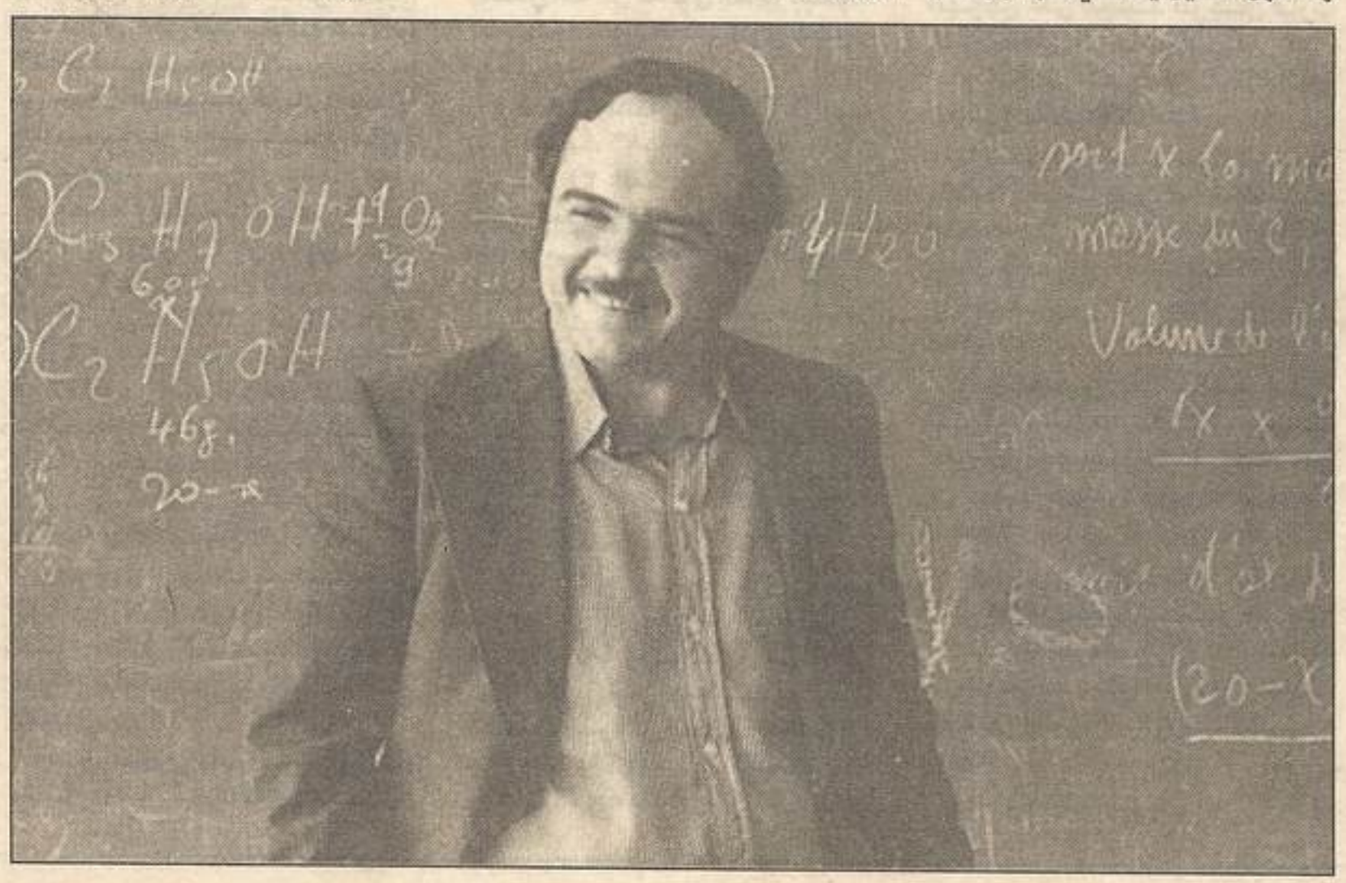

عدنان حلواني